Bible Study

The Book of Genesis

Chapter 9

سفر التكوين - الاصحاح التاسع

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الاصحاح التاسع: الله يبدأ عهداً جديداً بالبركة لنوح وبنيه
"وبارك الله نوحًا وبنيه، وقال لهم: اثمروا واكثروا واملأوا الأرض. ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء، مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دُفعت إلى أيديكم" [1 - 2]

- إذ خرج نوح وبنوه إلى الأرض المتجددة بمياه الطوفان، باركهم الله وقدم لهم ما سبق أن وهبه لآدم وحواء: "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض"... وكأن الإنسان قد بدأ من جديد، أو كأن العالم قد انطلق انطلاقة جديدة خلال نوح عوض آدم الأول.
- هذه البركة في حقيقتها هي رمز للبركة التي نالتها الكنيسة في العهد الجديد خلال نوح الحقيقي، ربنا يسوع واهب النياح أو الراحة، فعوض آدم الأول صار لنا آدم الثاني رأسًا، وعوض حواء الأولى صارت لنا الكنيسة حواء الجديدة خلالها يولد أولاد الله ويتكاثرون وينمون جدًا.
- خلال آدم الأول صار لنا الميلاد الجسدي، وخلال آدم الجديد أو نوح الحقيقي صار لنا الميلاد الروحي.

- وكما يقول القديس مار يعقوب السروجي: [أبونا الأول لدغته الحية، وانحدرت به إلى الجحيم، وها هو هناك داخل الهلاك مطروح في مذلة يحيط به الوحل، وأصناف الدود، صار السوس لباسه، والعنكبوت رداءه. الأرض من تحته والسوس فوقه. لقد انحط في التراب فاحتضن طينه وابتلى بالهاوية. هذا هو أبونا الأول، وهذه هي بلده. فلو لم يتغير هذا الميلاد لكنا في ذلٍ عظيمٍ... اهربوا أيها السامعون من هذا الذل العظيم، واطلبوا لكم أبًا آخر في السماء. أسرع والتجئ إلى المعمودية واطلبها أمًا لك، فهي تقدم لك أبًا غنيًا مملوءًا خيرات. إنها تلدك حتى وإن كنت شيخًا، فتجعلك صبيًا محبوبًا للملك أبيك].

- ويقول القديس أغسطينوس: [إن لنا ميلادين: أحدهما أرضي والآخر سماوي. الأول من الجسد والثاني من الروح. الأول صادر عن مبدأ قابل للفناء والثاني عن مبدأ أبدي. الأول من رجل وامرأة والثاني من الله والكنيسة. الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثاني أبناء الروح. الأول يصيرنا أبناء الموت والثاني أبناء القيامة. الأول أبناء الدهر والثاني أبناء الله. الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، والثاني أبناء البركة والمحبة. الأول يقيدنا بأغلال الخطيئة الأصلية والثاني يحلنا من رباطات كل خطيئة].

"كل دابة حية تكون لكم طعامًا، كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع. غير أن لحمًا بحياته دمه، لا تأكلوه" [3 - 4]

- كان طعام الإنسان قبلاً العشب الأخضر، والآن سُمح له بأكل لحوم الحيوانات والطيور والأسماك... لماذا؟ لكي يهيئ الطريق لقبول الشريعة الموسوية التي بها يلتزم الكاهن أن يأكل من ذبيحة السلامة كرمز للتمتع بالتناول جسد ربنا يسوع ودمه، كقوله: **"من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (يوحنا 6: 54 - 55).**

- فالذبيحة ليست كما يظن بعض الوثنيين لتهدئة غضب الله، إذ الله لا يُسر بالمحرقات ولا يأكل لحوم أو شحوم، إنما الذبيحة المقدسة وهي تعلن مصالحة الله مع الإنسان هي عطية للإنسان بها تشبع نفسه ويرتوي قلبه على مستوى روحي فائق للطبيعة. وإذ سمح بأكل اللحوم حذر من أكلها بدمها، ليهيئ الطريق للكشف عن خطورة الدم المبذول عنا كعنصر أساسي للتكفير والفداء، إذ **"بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين 9: 22)، "دم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (1 بطرس 1: 19).**

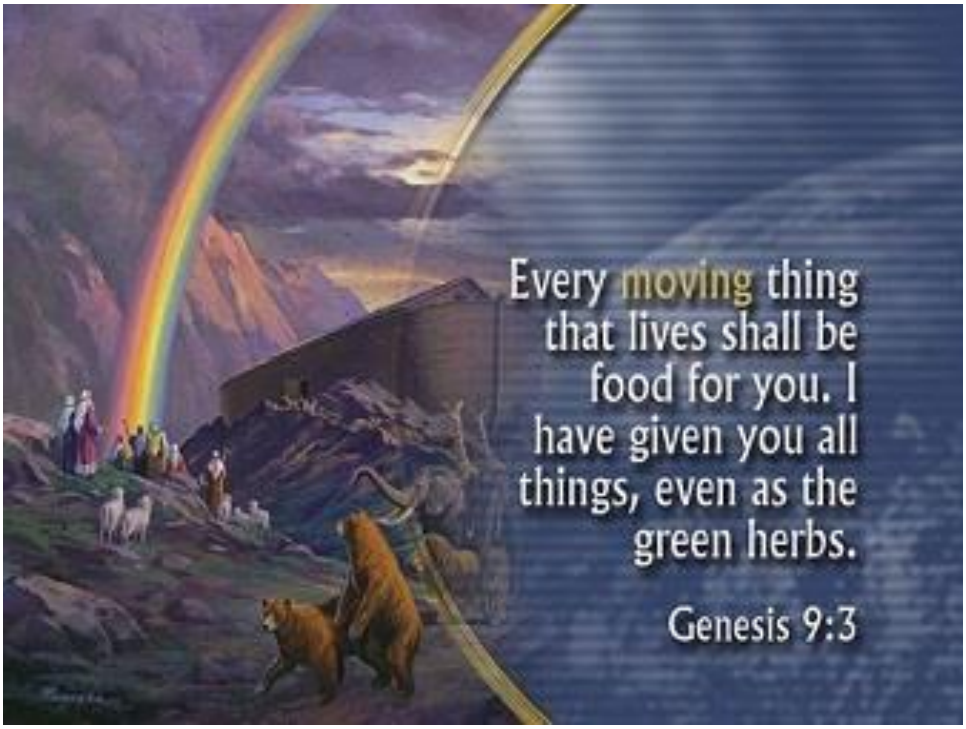

"وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط، من يد كل حيوان أطلبه، ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه. سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه، لأن الله على صورته عمل الإنسان. فاثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا في الأرض وتكاثروا فيها" [5 - 7]

- ونري هنا حب الله للانسان بمنعه من أكل الدم أو شربه فمن الجانب الجسدي يحافظ على صحته، ومن الجانب السلوكي يخشى عليه من التوحش والعنف، أما من الجانب الروحي فأراد الله تقديس الدم بكونه يمثل الحياة المبذولة من أجل خلاص الإنسان.
- ولم يسمح الله للإنسان من أكل لحم الحيوانات بدمها لئلا تمتد يده على أخيه الإنسان، لذا حذر من سفك دم الإنسان.
- ونلاحظ هنا تعليمًا هامًا بخصوص الدم:

"كل نفس تاكل شيئًا من الدم تقطع تلك النفس من شعبها" (لاويين 7: 27)

"لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه فقلت لبني اسرائيل لا تأكلوا دم جسد ما لأن نفس كل جسد هي دمه، كل من أكله يقطع" (لاويين 17: 14)

"وكلم الله نوحًا وبنيه معه قائلاً. وها انا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم، الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا بمياه الطوفان ولا يكون أيضًا طوفان ليخرب الأرض. وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر.وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض" [8 - 13]

- أقام الله ميثاقًا مع نوح وبنيه، وجعل قوس قزح علامة للميثاق بينه وبينهم، وبينه وبين نسلهم من بعدهم. إذ جاء التأديب خلال الطبيعة (الطوفان) أقام الله العلامة في الطبيعة علانية (قوس قزح).
- أما في العهد الجديد، إذ حمل السيد المسيح تأديبنا في جسده، جعل العلامة فيه خلال جراحات الصليب.
- والعجيب أن الله في حبه للإنسان يعتز بالميثاق معه، فيقول: "ميثاقي" [9، 11، 15]، "قوسي" [13].

"فيكون متى أنشر سحابًا على الأرض وتظهر القوس في السحاب. أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون أيضًا المياه طوفانًا لتهلك كل ذي جسد. فمتى كانت القوس في السحاب، أبصرها لأذكر ميثاقًا ابديًا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض. وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض" [14 - 17]

- يظهر قوس قزح حول العرش الإلهي "وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب و العقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد" (رؤيا 4: 3)، "ثم رأيت ملاكًا آخر قويًا نازلاً من السماء متسربلاً بسحابة وعلى رأسه قوس قزح ووجهه كالشمس ورجلاه كعمودي نار" (رؤيا 10: 1)، ذلك لأن مجد الله ليس جبروتًا وعظمة فحسب وإنما هو أيضًا حب بلا حدود.
- وقوس قزح هو علامة الحب التي قدمها الله حين أقام ميثاقًا مع نوح بعد الطوفان، ويبقى الله كمحب للبشرية يقدم لنا كل حب خلال ميثاقه معنا.
- هذا القوس له ألوان كثيرة تعلن عن إحسانات الله وعطاياه المتعددة. وهو كقوس يشير إلى القوس الذي كان مستخدمًا في الحروب، وكأن الله يدافع عنا بقوسه لكن بدون سهم لأنه غير محب لسفك الدماء، به نغلب الخطية وندوس على الشيطان.

"وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سامًا وحامًا ويافث، وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض. وأبتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه"

[21 - 18]

- إذ خرج إلى الأرض الجديدة التي غسلتها مياه الطوفان **"ابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا"**. لم يكن **"عاملاً في الأرض" (تكوين 4: 2)** كما كان قايين بل فلاحًا يغرس كرمًا، فقايين يشير إلى الإنسان الذي يصب عمله في الأرض والأرضيات ويبذل كل طاقته في الزمنيات، أما نوح فيشير إلى السيد المسيح الذي جاءنا كفلاح يغرس كرمه من جديد، أي الكنيسة التي صارت كما في أرض جديدة ترتوي بمياه الروح القدس وتغتسل بدم السيد المسيح القدوس.
- ولما غرس نوح كرمًا، غالبًا ما كان لا يدرك فاعلية عصير الكرم المختمر... لذا يرى بعض الآباء في نوح أنه أول من اختبر المسكر.
- إن كان قد سكر بمعرفة أو غير معرفة فقد تعرى، وسجل لنا الكتاب المقدس هذا الضعف ليؤكد لنا أن الخلاص لم يكن بسبب بر نوح الذاتي فإن كان بارًا إنما بسبب النعمة التي كانت تسنده في جهاده.

"هلم نسقي ابانا (لوط) خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً" (تكوين 19: 32)

"الخمر مستهزئة، المسكر عجاج، ومن يترنح بهما فليس بحكيم" (أمثال 20: 1)

"لا تكن بين شريبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم" (أمثال 23: 20)

"لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت، حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة. في الأخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان" (امثال 23: 31-32)

"من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل، وخمراً ومسكراً لا تشرب، وكل نجس لا تأكل لتحذر من كل ما أوصيتها" (قضاة 13: 14)

"لا تكن ذا بأس تجاه الخمر فإن الخمر أهلكت كثيرين... الإفراط من شرب الخمر خصومة ونزاع. الإفراط من شرب الخمر مرارة للنفس" (سيراخ 31: 30-39)

"ويل للمبكرين صباحًا يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر" (اشعياء 5: 11)

"فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة" (لوقا 21: 34)

"لا تكن في ما بعد شراب ماء بل استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (1 تيموثاؤس 5: 23)

- ويكشف هذا الموقف عن خطورة السكر الذي يُفقد الإنسان سترته، ويعريه حتى أمام بنيه. يقول القديس چيروم: [لا يجوز لأحد أن يقول بأن السكر ليس بخطية نقرأ عن نوح أنه سكر مرة، ولكن الله يحذرنا من أن نظن فيه أنه سكير ومدمن للخمر]. كما يقول: [ساعة واحدة سكر فينا عرّت (نوحًا) الذي ظل مستترًا طوال ستمائة عام بالوقار]. كما يقول: [بعد سكره تعرى جسده، فإن تدليل النفس يؤدي في النهاية إلى السقوط في الشهوة، فالبطن تتخم أولاً وعندئذ تثور الأعضاء]. ويقول القديس أمبروسيوس: [يا لسلطان الخمر، فقد جعلت ذاك الذي لم تغلبه مياه الطوفان أن يصير عاريًا!].

- إن كانت الخمر هكذا تسكر الإنسان، فتعري ذاك الذي استتر بالوقار أكثر من ستمائة عام، ذاك الذي لم تستطع أن تبلغ إليه مياه الطوفان، فإن الخطية هي بالحقيقة الخمر المسكر الذي يعري النفس ويفضحها، أما السيد المسيح فهو الغطاء البهي الذي يستر النفس من فضيحتها الأبدية. يقول القديس چيروم: [نحن ثوب المسيح إذ يلبسنا خلال إيماننا به نلبسه نحن أيضًا (كثوب لنا)، وكما يقول الرسول "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غلاطية 3: 27)، فهو لباسنا، نرتديه عندما نعتمد. فإننا إذ نلبس المسيح يلبسنا هو أيضًا!].

"فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما أستيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدًا لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدًا لهم. وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة. فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات" [22 - 29]

- إذ تعرى نوح أبصر حام عورة أبيه، أما سام ويافث فبوحي الناموس الطبيعي حرصا ألا يبصروا عورة أبيهما. هنا تظهر وحدة الناموس الطبيعي والناموس المكتوب وتطابقهما، إذ يحذر الناموس الإنسان من كشف عورة الأب أو الأم (لاويين 18). وما فعله حام كان فيه سخرية بأبيه المتعري بالمعنى الحرفي لمعنى التعرية.
- إن كنا نرى بالإيمان كل إنسان أبًا أو أمًا أو أخا أو أختًا لنا، فليتنا لا نعري أحدًا، إنما نستر بالحب قدر ما نستطيع في المسيح يسوع ساتر خطايانا!

- إن كان نوح قد أخطأ بشربه الخمر وسكره حتى تعرى، فإن الله في محبته لم يخف ضفعات رجاله بل يحول حتى الضعفات للخير، كما حول خطة إخوة يوسف لهلاك أخيهم لخيرهم وخيره. لقد رأى القديس چيروم في قصة نوح هذه صورة رمزية للسيد المسيح الذي شرب كأس الألم، ومن أجلنا تعرى على الصليب، فسخر به الأشرار (حام) بينما آمن به الأمم (سام ويافث). وكما يقول القديس چيروم: [قيل هذا كله كرمز للمخلص الذي شرب الألم على الصليب، قائلاً: **"يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" (متي 26: 39)**. شرب وسكر وتعرى جسده... فقد جاء الكبير (حام) أي اليهود وضحك، أما الأصغر أي الأمم فغطى آلامه... وكما سكر الأب بآلامه هكذا يسكر القديسون برائحة إيمانهم، يسكرون بالروح القدس. فقد كنتم بالأمس تجمعون الذهب والآن تلقونه عنكم، أما يُحسب هذا سكرٌ في عيني من لا يفهم هذه الأمور. أخيرًا، عندما حل الروح القدس على التلاميذ وملأهم وتكلموا بلغات كثيرة أُتهموا أنهم سكارى بخمر جديدة].

- ويرى البعض أن قول الكتاب **"فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير" [24]**، يقصد به كنعان، حفيد نوح الصغير، ابن حام. يرى العلامة أوريجانوس أن كنعان رأى عوره جده فأخبر أباه حامًا، وقال ابن عزرا أن كنعان هزئ بجده كثيرًا فاستحق اللعنة.